المنهج الإشاري في تفسير القرآن تفسير مواهب الرحمن للسبزواري انموذجاً

م. م. أسمهان جاسب حسن
aschha82@gmail.com
م. م. أمير فرحان علي
Rara968u@gmail.com
مديرية تربية الرصافة الأولى – العراق

The indicative method in the interpretation of the Holy Qur'an Interpretation of the "Mawahib Al Rahman" by al Sabzwary as a model

Assistant Lecturer Asmahan CHasib Hasan
Assistant Lecturer Ameer Farhan Ali
Directorate of Education First Rusafa – Iraq

المستخلص

هدف البحث إلى التأصيل للمنهج الإشاري في التفسير للنص القرآني على صعيد الفهم والتماهي مع النص بما يشي بالمرجعية المعرفية التي يصدر عنها القارئ أو المفسر(الصوفي) وبما يعكس حقيقة المنهج الإشاري، باعتبار أن المنهج الإشاري هو تفسير للقرآن بغير ظاهره لإشارة خفية ،ولاسيما أن الإشارات تمثل عند المتصوفة نوعاً من الإضافة للنص القرآني، فيستنبط المعنى من معانٍ متعددة، وكل منها تقابله معرفة عند المتصوفة ،وقد دار البحث في تعريف المنهج الإشاري وتاريخه، وأقسامه وشروطه، والتطبيق على تفسير السيد السبزواري في كتابه(تفسير مواهب الرحمن)،وانتهى البحث بأن المنهج الإشاري يعتمد على التأمل والذوق، والخلفيات الإشارية الموجودة في القرآن والعلاقة بين المعنى الظاهر والخفي، وقد تأصل في تاريخ الإسلام منذ بدايته، وبتوغله في النص القرآني لأنه يعتمد على حاسة القلب والوجدان، مما حمل التفسير الصوفي الإشاري للقرآن الكريم عند السبزواري على الذوق والتأمل والتفحص.

كلمات المفتاحية: القرآن الكريم، المنهج الإشاري، الصوفي، السبزواري.

Abstract

From the mental to the emotional levels, which are focused on the human soul and its situations, the Holy Qur'an is replete with topics pertaining to human education. Due to its significance on the one hand and the confusion and inconsistency of positivist views on the other. The purpose of this study was to clarify the nature of sentiment in the Holy Qur'an, identify the characteristics of emotional education in its verses, and develop emotional educational meanings based on educational principles.

In the verses of the Holy Qur'an, the research outlined the key applications of emotional education. Refinement and reform, and the Holy Qur'an built this reform through philosophical and intellectual pillars that are in line with common sense; since changing the nation depends on the righteous person with his or her beliefs, values, behaviour, and social harmony.

Introductory words: The Holy Qur'an, the indicative approach, the Sufi, Al-Sabrawi.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه الأخيار المنتجبين ومن والهم الى يوم الدين.

وبعد...

ان التفسير الإشاري للقرآن الكريم هو طريقة من الطرق التي اتبعها المتصوفة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم، ان طبيعة الصوفية هي الاهتمام بالمشاعر والوجدان والأحاسيس التي نكتسبها عن طريق الحواس فهذا هو السبب الذي جعل الصوفية يختارون المنهج الإشاري لأنه منهج يعتمد اعتماداً كلياً على الحواس، والحواس تعتمد على لغة الإشارة ، ففي تفسيرهم للقرآن الكريم ينتقل الصوفية من اللغة الظاهرة للنص القرآني الى الباطن لشرح الغامض وإظهار الباطن ففي حالة التفسير ينتقل المفسر من الظاهر الى الباطن. وهذا النوع من التفسير حسب الرأي الصوفي لا يمكن لأي أحد أن يحظى به سوى من جاهد نفسه وجرد قلبه من الأهواء والمعاصي فيكون اختياره من الله تعالى ليرسل له الإشارات والإلهامات فمهما يبلغ الانسان من العلم والمعرفة فلا يمكن أن يكون مستنبطاً للإشارة الا إذا كان هنالك اختيار من الله ، أي يجب على المفسر أن يكون لديه العلم اللدُني والعِلم المُكتسب لكي يكون مفسراً .

تنحصر طريقة الإستنباط عند الصوفية في تلاوة سورة او اية من القران وتكرارها، متدبرين في كل تلاوة معاني الفاظها ، ولا ينتقلون من اية الى أخرى حتى يشاهدوا معاني الأولى، ويفتح الله عليهم بما يعينهم على فهم الآية اللاحقة مع حضور القلب وإلقاء السمع والإنشغال بما هم فيه دون غيره. [١]

مشكلة الدراسة:

الخوض في موضوع المنهج الإشاري ودراسة نواحيه المختلفة؛ خدمة لكتاب الله تعالى ، وهي من أعظم العبادات لله عز وجل، ويعد دراسة جديدة لجانب من جوانب التفسير الإشاري للقرآن الكريم .

عمق الموضوع من الناحية العلمية ويظهر ذلك عند عرض أراء الإمام السبزواري، والمساهمة في تحديد نظراته من خلال المنهج الإشاري.

أسئلة الدراسة :

١. ما هو المنهج الإشاري في اللغة والاصطلاح؟
٢. ما هو تاريخ المنهج الإشاري؟
٣. ما هي أقسام المنهج الإشاري وشروطه؟
٤. كيف اعتمد الإمام السبزواري في كتابه تفسير مواهب الرحمن على المنهج الإشاري؟

أهمية الدراسة :

تعود أهمية البحث إلى أهمية التفسير عند المسلمين لتفسير القرآن الكريم، وإلى حاجة البحث إلى التفسير في المنهج الإشاري بكونه يخص الصوفية ، فتناول التفسير الإشاري ومنهج الإمام السبزواري ، لإبراز محاسن التفسير بالدراسة ،والهدف الأساسي هو عرض ودراسة ما تواصل إليه الإمام بالمنهج الإشاري لتفسير القرآن الكريم .

محددات الدراسة :

كتاب تفسير مواهب الرحمن للإمام السبزواري.

منهج الدراسة:

تقوم الدراسة على المنهج التاريخي ، ونقوم بدراسة المنهج عند الإمام من خلال منهج الإستقراء، والمنهج التحليلي، من خلال :

عزو الآيات الواردة في البحث إلى سورها.

جعل الإمام هو المصدر الأول في البحث.

دراسة الآيات في ضوء تفسير الإمام

تخريج الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة

وهذا تفسير موجز عن التفسير الإشاري في مباحث :

المبحث الأول: التعريف بالمنهج الإشاري ونبذة عن تاريخه

المبحث الثاني : أقسام وشروط المنهج الإشاري

المبحث الثالث : تفسير السيد الأعلى السبزواري (مواهب الرحمن إنموذجاً)

الخاتمة

المصادر والمراجع

المبحث الأول

التعريف بالمنهج الإشاري ونبذة عن تاريخه

المطلب الأول: تعريف المنهج الاشاري

الإشارة لغةً

لغة الإشارة : " بمعنى الإشارة والايماءة ، أي إختيار مسألة من كلمة أو فعل أو رأي " [٢] .

الإشارة والايماء هي الرمز ، والتلويح بشيء يفهم منه ما يفهم من المنطق . [٣]

لغة ، أشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه ، ويقال : شورت إليه بيدي وأشرت إليه أي لوحت إليه وألحت أيضاً ، وأشار إليه باليد : أومأ، وأشار عليه بالرأي، وأشار يشير إذا ما وجه الرأي . [٤]

الإشارة اصطلاحاً

الإشارة في المصطلح : أي ان شيئا ما يستعمل من الكلام دون أن يكون موضوعه، وقد تكون الإشارة ملموسة كما هو الحال في المراجع مثل (هذا)، وقد تكون عقلية مثل الإشارة إلى المعنى في الكلام بحيث إذا أراد توضيحه فسيكون هناك حاجة إلى الكثير من الكلام ، ثم قد تكون العلامة مرئية أو قد تكون مخفية . [٥]

الإشارة إصطلاحاً : يعني الإستفادة من شيئ من الكلام دون أن يكون موضوعه ، قد يكون مرئياً أو مخفياً. [٦]

تعريف المنهج الاشاري

المنهج الاشاري : هو من الأساليب القديمة للتفسير، وله تعاريف مختلفة مثل (التفسير الصوفي ، الشهودي ، الباطني ، الرمزي) وكل من هذه التعاريف يشير إلى إسم

خاص للتفسير وهناك إختلاف كبير في آراء المحققين فيما يتعلق بهذا المنهج وأنواعه.[٧]

التفسير الدلالي : وهو تفسير آيات القران الكريم على ما يظهر منها وفق العلامات الخفية التي تظهر لأهل العلم والسلوك وعلى أساس التطابق بينهما وبين الظواهر المقصودة آيات قرآنيه في جانب من جوانب الشرع . [٨]

أما الدكتور محمد الصغير فأطلق على هذا المنهج " الصوفي أو الباطني" وعرفه منتقداً بأنه منهج بعيد عن ظاهر* كتاب الله وما دلت عليه السنة النبوية يعتمد فيه المُفسر على هواه، والصفة الغالبة على أفكار مفسريهم هي الحلول أحياناً والتجسيد أحياناً أُخرى ، وكان اعتمادهم على إلهامات في مخيلتهم أبعدتهم عن الصواب والرشد، فينتقلون بتفسيرهم عن ما هو مادي الى ما هو معنوي، وعن الحسي بما هو عقلي، وعن ما هو ملموس بما هو ذهني. [٩]

المنهج الاشاري: هو ان يسلك المُفسر خلال تفسيره ما يساعده على التفسير مستعيناً بالإشارات المخفية التي توجد في ألفاظ النص القرآني وصولاً الى ما يظهر هذه الألفاظ الى باطنها، قاصداً أن يوضح نكتة موجودة في النص لا يمكنه الوصول إليها إذا التزم بظاهر النص القرآني، وتكون علاقة المعنى الظاهر مع دلالة الاشارة علاقة متلازمة وليست متباينة . [١٠]

المنهج الاشاري: وهو تفسير القران الكريم بقصد فهم الآيات الباطنية وأسرارها ، أما بإظهار القلب وشهود الحق حسب الادعاء او عن طريق التدريبات الفكرية التي تتناسب مع الآيات ، في ملامح العقيدة الصوفية . [١١]

يقول الشيخ خالد العك: الإشارة في جزئين : العلامة الحسية والعلامة الذهنية، أما الإشارة الحسية فهي موجودة دائماً في معاني أسماء الإشارة وأما العلامة الذهنية فهي حاضرة في معاني الكلام ، حتى لا تتحدث عنه والتفسير الإشاري من هذا النوع . [١٢]

المطلب الثاني: تاريخ المنهج الإشاري

يعود تاريخ بعض أقسام التفسير الإشاري ، مثل التفسير الباطني للقرآن الى بداية العصر الإسلامي ، حيث هنالك العديد من الروايات الواردة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليه السلام) مما يؤيد هذه المنهجية في التفسير وهو ما اشتهر بروايات بطون القرآن . [١٣]

إن في الآيات ما يظهر أن حقيقة القرآن موجودة عند الله تعالى، وأن له بطناً كما له ظهر ، فيه آيات لأهل البصيرة كما فيه آيات للناس أجمعين ، قال ابن عباس :" ان القران ذو شجون ،وظهور ، بطون ، لا تنتهي عجائبه ، ولا تبلغ غايته ومن أوغل فيه بهدوء ورفق فقد نجا ومن أخبر فيه بعنف و قسوة فقد هوى ، أخبار وأمثال ، حلال وكذلك حرام ، وناسخ وأيضاً منسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وظاهر وباطن ، فظاهره التلاوة ، وباطنه التأويل فجالسوا به مع العلماء ، واتركوا به السفهاء " . [١٤]

وفي رأي آخر ، نزل القرآن على قلب إنسان كان معزولاً عن الناس في دجى الليل المظلم في الغار ، ففي هذه القصة إشارة الى شرط من شروط القرآن ، والكلمات المروية عن علي بن ابي طالب (عليه السلام) حول القرآن في نهج البلاغة ، تكفي دليلاً على وجود التفسير الإشاري في ذلك الوقت ، وفي الحديث الذي يرويه الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن كتاب الله على أربعة أشياء ، على العبارة ،الإشارة ،اللطائف ،الحقائق ، إن العبارة للعوام ، وإن الإشارة للخواص ، وإن اللطائف للأولياء ، وإن الحقائق للأنبياء" . [١٥]

المبحث الثاني

أقسام المنهج الإشاري وشروطه

المطلب الأول: أقسام المنهج الاشاري

١-التفسير الإشاري النظري

إن العرفان النظري المأخوذ من تأملات فكرية منظمة ، والتي لها نظام خاص بالمبدأ والعودة والأرواح والآفاق ، عند استخدامها في تفسير الآيات هو تفسير نظري إشاري ومثاله : تفسير إبن عربي (رحمه الله تعالى)، لأنه ألف تفسيره على مبادئ العرفان النظرية وعلى مسألة وحدة الوجود**. [١٦]

وفي الفتوحات المكية لإبن عربي في تفسيره قولة تعالى ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [سورة طه – ١٢]

قال : وأما نعلي موسى (عليه السلام) فقال له ربه "فاخلعْ نعليكَ انك بالوادِ المقد سِ " ، فقد روى إنهما كانتا من جلد الحمار الميت ، فجمعت في تفسيرها ثلاثة أشياء ، الأول الجلد ، ويكون ظاهر الأمر، أي إنك لا يجب عليك أن تقف مع الظاهر في كل الأحوال ، والشيء الثاني التبلد ، والثالث الموت بغير ذبح ، والموت والجهل ، فاذا كنت أنت ميتاً ، لا يمكنك أن تقل ما تقول ولا الشيء الذي يقال لك ، والمناجي لابد أن يكون صاحب صفة من يعقل و ما يقول وما يقال له ، فيكون قلبه حي، فطناً بمواطن ومواضع الكلام ، غواصاً في المعنى الذي يقصدها الذي يناجيه بها ، فاذا أتم صلاته فيسلم على كل من حضر تحية الآتي من ربه الى قومه بما أتى به ".[١٧]

وهنا يعمل المفسر على استخدام المقدمات النظرية للعرفان النظري ، أو التصوف النظري في تفسير آيات القرآن يتجاوز حدود الظاهر دون وجود أي افتراض عقلاني أو قرينة نقل على هذا التفسير فهو لا يراعي ضوابط التأويل ، وفي بعض الأحيان يدل

على عدم وجود غير هذا المعنى من التأويل (الإشاري النظري) وقد نسب هذا النوع من التفسير الى الصوفية وأهل التصوف النظري . (١٨)

في تفسير إبن عربي قوله: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الواقعة – ٥٧]

قال : نحن خلقناكم بإظهار حضورنا لك وظهورنا في صورك، كما ذكر في تفسير قولة تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد –٤]

قال : وهو معكم أينما كنت لوجودك فيه، وظهوره في مظاهرك .

وفي [سورة المزمل آيه ٨] ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ﴾ أي واذكر اسم ربك الذي هو انت أي اعرف نفسك وابداً لا تنسى نفسك حتى لا ينساك الله . (١٩)

٢– التفسير الشهودي او الفيضي

في بعض الأحيان لا يمتلك المفسر نظاماً فكرياً وعرفانياً ونظرياً ، بل يعتبر المفسر من أصحاب تأملات القلب والكاشفات الشهودية ، فعندما يتفحص في الآية، في حالة الوجد والجذب ، خصوصاً في حاله الحلم بين اليقظة والنوم، يفهم من الآيات معنى خاصا ، فيفسر تلك الآيات بحسب التأملات فانهم يسمون تفسيرها تفسيراً فيضياً أو شهوديا" . (٢٠)

يستفيد المفسر فيه من الوحي وشهود العرفان ، والتجليات القلبية في منهج التفسير ، متجاوزاً حدود المعاني الظاهرة للنص القرآني ، حيث ذكر في تفسير التستري معنى في تفسير " بسم الله " وقيل : "الباء هي بهاء الله عز وجل " والسين هي سناء الله عز وجل والميم هي المجد الله عز وجل والله : هو هذا الاسم الأعظم الذي يحتوي الأسماء كلها ، ويكون بين الالف واللام حرف مكنى غيبي ، و من سر الى سر ، وحقيقي ،

لا يمكن أن ينال فهمه إلا الظاهر من الأدناس ، الأخذ من الحلال هي ضرورة الإيمان.[٢١]

ومما ذكره السيد السبزوراي (قدس سره) من المباحث العرفانية بعد تفسيره لآية الكرسي من سورة البقرة: هناك مراتب متعددة للحضور الإلهي فهي لا تنتهي، وتتمحور مراتبها بمراتب من تخلق بالخلق الإلهي وتفانى في رضا الله، وأصل ذلك يعود الى الحب الإلهي الذي يؤثر في القلب فإن خضع القلب خضعت معه جميع الجوارح، وخير من سلك هذا المسلك هو سيد الخلق وخاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث حضي بحبه لله تعالى بالحياة الأبدية الحقيقية التي هي أقصى وأشرف حياة، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : " أبيت عند ربي، يطعمني ربي، ويسقيني ربي" ، وكيف كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يلجأ الى الاستغفار إن همه أمر فكان قلبه دائماً مرتبطاً ومشغولاً بالله جل جلاله فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : " ليغان على قلبي فاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة " ، فما أقوى هذا الحب وما افضل هذا الحبيب وما أجل هذا المحبوب، وفي هذا المقام لا يوجد هناك نوم ولا يوجد نعاس فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): " تنام عيني ولا ينام قلبي" . [٢٢]

المطلب الثاني: شروط التفسير الاشاري

١- أن لا يتعارض التفسير الإشاري مع ما يظهر من النظم القرآني .

٢- أن لا يزعم ان المقصود هو وحده دون غيره من جوانب التأويل الأخرى .

٣- ألا يكون له خصم شرعي او فكري .

٤- أن يكون له شاهد ينصره . [٢٣]

المبحث الثالث

تفسير السيد عبد الأعلى السبزواري (تفسير مواهب الرحمن إنموذجاً)

المطلب الأول: التعريف بالسبزواري

ولد (قدس سره) في اليوم الثامن عشر من الغدير الأغر سنة ١٣٢٨هـ الموافق لعام ١٩١٠ م في مدينة سبزوار *** في إيران وفي عائلة إشتهرت بفضيلتها وتقواها وعلمها و شرف نسبها العظيم للرسول الكريم وآل بيتة الطاهرين (عليهم السلام) فوالده العلامة السيد علي رضا وهو عالم من علماء سبزوار والذي تصدى لشؤون المسلمين فيها وقضاء حوائجهم ، بدأ دراسته في الحوزة في سن صغير، أنهى دراسة المقدمات في سبزوار ثم سافر مع والده الى مشهد الرضا ليكمل دراسته هناك حتى بلغ في العلم مرتبة متقدمة في سنوات قليلة ، ثم هاجر الى النجف الأشرف ، فمكث فيها ودرس في الجامعة الإسلامية ، وحضر الدروس على يد أعلام في الفقه والعقائد والفلسفة والأخلاق، وبعد حصوله على مرتبة الإجتهاد أجرى حلقاته الدراسية في المسجد الذي كان يسكن فيه بمنطقة الحويش في النجف الاشرف، وقد تخرج على يديه العديد من علماء الحوزة العلمية الكبار . [٢٤]

المطلب الثاني: تفسيره

يتكون تفسيره المسمى "مواهب الرحمن" من أربعة عشرَ مجلداً، والصفة الغالبة على تفسيره هي المنهج العرفاني الذي هو محور هذا البحث، واعتمد في مصادره على تفسير القرآن بالقرآن لأن القرآن قد فسر نفسه بنفسه، والروايات المأثورة من السنة النبوية والأئمة (عليهم السلام)، وابتعد عن التفسير بالرأي، وامتازت عبارات تفسيره بالسهولة ليستفيد منها عامة الناس، وبعد أن يتم تفسير الآية القرآنية أو عدة آيات متضمنة موضوع واحد يقدم بحوث المقام المتضمنة عدة بحوث ممكن ان يشملها موضوع الآية

وهي: (بحث دلالي، بحث أدبي، بحث روائي، بحث عرفاني، بحث فلسفي، بحث اخلاقي، بحث اجتماعي)، ويصف نجله ظروف كتابة والده لهذا التفسير فيقول: " كان عنده أربعة تفاسير شيعية ومن بينها تفسير الميزان، يأخذ الموجز من هذه التفاسير كما علّمنا السيد الوالد وَيقدمها لنا، أنا عليّ أن أقرأ بعض تفاسير السنة مثل تفسير المنار، وتفسير روح المعاني للآلوسي وبعض التفاسير الأخرى للمحدثين، كنت آخذ المطلوب الذي نريده وأقدّمه للسيد الوالد، ومن مجموع هذه الملخصات بعد أن يقرأها السيد– وهو عنده معلومات كافية– يستنتج منها شيء آخر ويكتبه ثم يعطيه لنا، ونحن بدورنا نقوم بكتابتها ثانيةً، كان الوالد ينجز ذلك من الصباح حتى الليل، وفي الصباح يأتي السيد محمد [نجله ايضاً] ويأخذ ما تمت كتابته من السيد الوالد، ثم نقوم نحن بترتيب واستخراج الروايات ونعرضها ثانيةً على الوالد ومن ثم نعطيها للمطبعة لطباعتها، حتى قبل أن نرسلها إلى المطبعة كنّا نعرضها على السيد علي البهشتي رضوان الله عليه فيراجعها ويرى إن كان فيها إشكال ثم نرسلها إلى المطبعة، هذه كانت طريقتنا في تفسير مواهب الرحمن" [٢٥] .

المطلب الثالث: منهجه

يقول السيد (قدس سره): لم أتطرق في الترتيب و النظم بين الآيات ، لأن في كل منها القريب الشامل الحاضر في جميعها موجود ويعتبر كمال الروح أو الهداية ومع وجوده إلا معنى له لذكر الترتيب والتنظيم بين الآيات ، لأن الهدف القريب بنفسه هو الذي يجمع بين الآيات ، كما انني لم أهتم بشأن النزول لأن كليات الآيات تنطبق على مصادقيها في جميع الأوقات فلا داعي لتحديدها بوقت النزول أو بفرد معين، وجميع الروايات التي جاءت عن الائمة توضح بعض المصاديق لها ، فهي ليست من التخصيص والتقييد، بل هي من جانب تطبيق الكلي على الفردي . [٢٦]

وفي تعليقه على آية البر في قولة تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ [سورة ال عمران– ٩٢]

قال (قدس سره) :من أفضل وأهم البر والصلاح هو إتباع أوامر الله تعالى وطاعته في كل شيء ، والعمل على رضاه عز وجل هو آخر حدود الإمكان وأول حدود الوجوب، و إن أعلى الأشياء المحبوبات لدى الناس هو حب الشرف والكرامة والعزة ، ويجب الإنفاق على إن هذا المحبوب في ساحته تعالى ليبلغ العبد الغرض من الصلاح البر بالمعنى المطلق، وعليه سيرة أولياء الله الصالحين [٢٧].

بعد أن أوضح أن أكثر المحبوبات لدى الناس إنما تنحصر بحب العزة و الكبرياء والشرف والجاه أراد (قدس سره) أن يوضح أنه يجب على العبد من إنفاق هذا المحبوب حتماً في مرضاة الحق تعالى إذ لا مشكلة في ما كان من ذكر حب العزة والشرف والجاه يعد أمراً وهمياً في الدنيا الزائلة ، فلا بد من إنفاق في القدرات والطاقات لطريق الآخرة ، وأجمل ما بالإنسان أن ينفق أجمل وأنفس ما عنده، وفي الواقع لم يكن ذلك إنفاقاً وإنما إدخار في الدنيا لأنها مزرعة الآخرة ، في قوله تعالى: ﴿* لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢﴾ [سورة البقرة – ٢٧٢] . [٢٨]

وتحدث السيد العارف (قدس سره) عن مكانة المجاهدين والشهداء والأولياء في سبيل الله من خلال التعليق على قوله تعالى﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [سورة ال عمران– ١٦٩]

حيث قال إن المقصود قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ال عمران – ١٦٩] ،هي تمام العناية بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله ، من خلال تضحيتهم بأرواحهم الغالية أرادوا أن يرفعوا كلمة الحق ويقضون على الباطل فجزاهم الله تعالى الأجر الجزيل ، والثناء والذكر الجميل وأعطاهم السعادة الكبيرة أن جعلهم عنده يرزقون ويفرحون ، وكل أحزانهم ومخاوفهم وآلامهم إنتهت من حياتهم . (٢٩)

كما يقول السيد عبد أعلى السبزواري في قولة تعالى : ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة البقرة – ١٥١-١٥٢] من أجل مقامات العارفين مقام الذكر بل هو من أعظم مظاهر حب الحبيب لمحبوبه فان من أحب شيئاً أكثر من ذكره ومن علامات الحبيب الاستكثار بذكر حبيبه ، وقد قالوا : ان المحب إذا صمت هلك ، والعارف إذا نطق هلك ، لأن الأول مجبول على ذكر الحبيب ، والثاني مأمور بإخفاء الأَسرار ، ونسب الى سيد الساجدين (عليه السلام):

" يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولأستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما يأتونه حسناً " . (٣٠)

ومع المآثر التي تؤكد تاريخ هذا المنهج في التفسير منذ زمن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والأحاديث النبوية الشريفة وأحاديث الأئمة (عليهم السلام)التي بينَت إن للقرآن تفسير ظاهر يعلمه العامة وتفسير باطن يعلمه الخاصة إلا أن الكثير من

الانتقادات قديماً وحديثاً وُجهت لهذا المنهج من مناهج التفسير، منها ما نقله الزركشي من آراء: "فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن فقيل: ليس تفسيراً وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة" (٣١)، وأيضاً قولهم:" أن الأصل عدم قبول هذا النوع من التفسير لأن تفسير القرآن لا يكون إلا بالقرآن أو بالسنة أو بالمتبادر من عموم لغة العرب؛ لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين, فلا يصح تفسيره بخلاف ظاهر اللفظ إلا بدليل يصرف المعنى المراد من ظاهر اللفظ إلى معنى آخر. أما من قال بهذا اللون من التفسير, ومال إليه فهو المطالب بالدليل"(٣٢).

إلا إن هذا النقد الموجه لهذا المنهج من التفسير ناتج عن الخلط بين نوعين من مناهج التفسير هما: (التفسير الإشاري والتفسير الباطني الصوفي) فالأول الذي يلتزم بتفسير ظاهر النص بالإضافة الى ما يرى فيه المفسر من تفسير باطن إذا احتمل النص القرآني ذلك وفق الشروط التي تم ذكرها، والنوع الثاني من التفسير الباطني الصوفي الذي لا يرى فيه المُفسر ظاهر النص وانما يأخذ بما يحتمله باطنه فقط، والفرق بين هذا التفسير يقول الشيخ الجليل محمد الخضر حسين:" إن" أصحاب الإشارات" غير من يسمونهم" الباطنية"، فالباطنية يصرفون الآية عن معناها المنقول أو المعقول إلى ما يوافق بغيتهم، بدعوى أن هذا هو مراد الله دون ما سواه. وأما أصحاب الإشارات؛ فإنهم كما قال أبو بكر بن العربي في كتابه" العواصم والقواصم" جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها، وأقروها على نصابها .. لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ، فعبروا إليها بالفكر، واعتبروا منها في سبيل الذكر. فأصحاب الإشارات لا ينفون– كما ينفي الباطنية وأذنابهم– المعنى الذي يدل عليه اللفظ العربي من نحو الأحكام، والقصص، والمعجزات .. وإنما يقولون: إنهم يستفيدون من وراء تلك المعاني، وعلى طريق الاعتبار، معاني فيها موعظة وذكرى(٣٣).

حتى أن السبزواري كان بعيداً في منهجه عن منهج المتصوفة فعند بيانه لمعاني الحروف المقطعة في بداية بعض السور نقل رأي المتصوفة مع استبعاده لهذا الرأي: "اما عن جمع من مفسري الصوفيّة تفسيرها بالقطب والولي والأوتاد وغاية ما ادعوه في إثبات ذلك الكشف والشهود ولكن التفسير بذلك باطل أيضاً ، ولا دليل عليه وما أدعوه من الكشف مردود لا مجرى له في القرآن الكريم والسّنة الشريفة والأحكام الإلهية ونصوصنا به متواترة "، ورجح عدة آراء من بينها: أنّها تشير إلى بعض الحقائق ورموز الى بعض العلوم التي سترها الله تعالى عن العباد لما رآه من المصالح حتّى يظهر أهلها فيستفيد منها وتكون لغيره من مخفيات الكنوز فلها ربط بعلم الحروف.

ومقتضى الأخبار الكثيرة أنّ عند الأئمة الهداة شيء كثير منه وهو مما اختصهم الله تعالى به فعلم فواتح السور من الأسرار المودعة لدى الإمام (عليه السلام) ، ويرشد إلى ذلك ما يستفاد من مواظبة الأئمة الهداة (عليهم السلام) في حالاتهم الانقطاعية مع الله تعالى وتوسلهم إليه عز وجل بفواتح السور، وأنّ لها شأناً من الشأن ومنزلة عظيمة عند الله تعالى[٣٤]

ومن اللطائف الجمالية لهذا المنهج اتخذه الشعراء كأحد الأساليب البلاغية في التعبير، والتمَسَ الباحثين هذا التأثر من خلال تحليلهم للقصائد الشعرية وكما عبّر عن ذلك الدكتور محمود القيسي بدراسته للخصائص الشعرية لشعراء التصوف بقوله: "ان الرؤية الصوفية للوجود تمتاز عن غيرها من الرؤى الكونية لأنها تنظر الى الوجود نظرة مغايرة، إنها تنظر إليه بوجهية الظاهر والباطن مع تقديم الباطن على الظاهر في حين تقف الرؤى الأخرى عند ظاهره فلا تتجاوزه" [٣٥]

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي وفقنا لإتمام هذا البحث والذي بفضله عز وجل تتم النعم.. وهذا أبرز ما توصل إليه البحث:

١- ان المنهج الاشاري يشير الى التأملات التي ينتفع منها ذهن العارف حيث تتخلله بعض الإشارات الخفية الموجودة في القرآن وتكون على نحو معنى باطني ولها علاقة بالمعنى الظاهر وهي علاقة تلازميه .

٢- هناك العديد من المناهج في العرفان والمنهج الإشاري واحداً منها, وهو منهج واسع وينظر الى الجهة الأخرى من الآيات الكريمة والتي قد لا ينال معرفتها إلا ذو شان عظيم , حيث أن الإشارات الواردة في الآيات القرآنية لا يمكن ان يستوعبها أي عقل او فكر, بل يستشعر بها من استشعر بها قلبه وعقله الحب الإلهي , ففي المعاني الظاهرية في القران الكريم هنالك معاني أخرى باطنية , توصل لها السيد السبزواري (قدس سره) بمنهجه والذي هو العرفان والمنهج الاشاري .

٣- يعود المنهج الإشاري الى تاريخ بداية الإسلام حيث ان للقرآن ظاهر وباطن والدليل على ذلك الروايات التي أكدت إنه كما للقرآن تفسيراً ظاهرياً مرتبطاً بظاهر اللفظ فله أيضاً تفسيراً باطنياً.

٤- التمييز بين المنهج الإشاري والمنهج الصوفي، فلكل منهما طريقته في التفسير.

التوصيات:

يوصي الباحث بالتعمق في المنهج الإشاري ودراسته عند علماء التفسير، والكشف عن استخداماته عند الصوفية وغيرهم، والتطرق لعلماء أجلاء غير السبزواري لمعرفة كيف كان المنهج مستخدماً عند العلماء.

الهوامش

(١) عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، ص١١٦.

(٢) المصطفوي ، التحقيق في كلمات القران الكريم ، ج٦ ص ١٤٩.

(٣) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج١ ص١١٢.

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة شارَ.

(٥) العك ، قواعد التفسير وأصوله ، ص٢٠٦.

(٦) الاصفهاني ، مناهج التفسير واتجاهاته دراسة مقارنة ، ص٢٩١.

(٧) الاصفهاني ، مناهج التفسير واتجاهاته دراسة مقارنة ، ص٢٩٢.

(٨) العك ، قواعد التفسير وأصوله ، ص ٢٠٥.

* الظاهر: في اللغة خلاف الباطن، وهو الواضح المنكشف، ومنه ظهر الأمر: إذا اتضح وانكشف، واصطلاحاً: أي لفظ دل دلالة ظنية وضعا كأسد أو عرفا كغائط . فالظاهر الذي يفيد معنى مع احتمال غيره ، لكنه ضعيف ، فبسبب ضعفه خفي، ينظر: الفتوحي، شرح الكوكب المنير، ص ٤٤٢.

(٩) الصغير ، المبادئ العامة لتفسير القران الكريم ، ص١١٣.

(١٠) دار المعارف العربية ، اساسيات علم التفسير ، ص٢١٥.

(١١) أسدي نسب ، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنه ، ص٣٨٧.

(١٢) العك ، قواعد التفسير وأصوله ، ص٢٠٦.

(١٣) دار المعارف الإسلامية ، اساسيات علم التفسير ، ص٢٢٤.

(١٤) الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج٢ ص٢٥٤.

(١٥) اسدي نسب ، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة ، ص٤٠٤.

** وحدة الوجود: تعني أنه لا فرق بين خالق ومخلوق، فكل معبود هو الله، والله هو المعبود، فهذا العالم هو كله الله، [والذي يبدو إن الاعتقاد بوحدة الوجود يؤدي الى تبرير عقيدة الشرك، فمن آمن بعبودية المخلوق كأنما آمن بعبودية الخالق] ، ينظر: ابن جبرين، شرح العقيدة الطحاوية، ص٨.

(١٦) اسدي نسب ، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة ، ص٣٩٤.

(١٧) ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج٣ ص٢١٥.

(١٨) الاصفهاني ، مناهج التفسير واتجاهاته دراسة مقارنة، ص٢٧٦.

(١٩) ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج٢ ص٧٢١.

(٢٠) اسدي نسب ، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة ، ص٣٩٤.

(٢١) التستري ، تفسير التستري ، ص٢٣.

(٢٢) السبزواري، مواهب الرحمن، ج٤ ص ٢٨٣ – ٢٨٤.

(٢٣) العك ، قواعد التفسير وأصوله ، ص٢٠٨.

*** سبزوار: هي مدينة تقع في الشمال الشرقي من ايران في ولاية خراسان بالقرب من نيسابور ، ينظر: الأصفهاني، رضائي ، معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى السبزواري، ص١٤.

(٢٤) دار السيدة رقية للقرآن الكريم، المنهج التفسيري لآية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري.

(٢٥) السبزواري، علي عبد الأعلى، مقالة بعنوان قبسات من حياة السيد عبد الأعلى السبزواري العلمية والتربوية.

(٢٦) السبزواري ، مواهب الرحمن ، ص٥.

(٢٧) الأسدي ، معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى السبزواري، ص٢٤٦.

(٢٨)السبزواري، مواهب الرحمن، ج٦ ص١٥٥.

(٢٩)السبزواري، مواهب الرحمن، ج٧ ص ٨٤.

(٣٠) السبزواري ، مواهب الرحمن ، ج٢ ص٢٠٦.

(٣١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢ ص١٧٠.

(٣٢) الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الواحد والعشرين، ج١ ص٣٦٨.

(٣٣) أبو العاصي، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، ص٩٠.

(٣٤) السبزواري، مواهب الرحمن، ج١ ص ٥٩-٦٠.

(٣٥) القيسي ، أدب الرمز والإفصاح في أساليب الصوفية.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- ابن جبرين، شرح العقيدة الطحاوية، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد (ت: ١٤٣٠هـ)، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

٣- ابن عربي ، ابي بكر محي الدين محمد بن علي ، الفتوحات المكية ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٤- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ، لسان العرب ، دار صادر –بيروت .

٥- أبو العاصي، محمد سالم أبو عاصي، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، دار البصائر – القاهرة ، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٦- اسدي نسب، محمد علي، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة ، نكار –قم ،ط١١٤٣١هـ.

٧- الاسدي ، كاظم عودة ، معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى السبزواري، مؤسسة العهد الصادق – العراق ،ط١١٤٣٠هـ .

٨- التستري ، سهل بن عبد الله ، تفسير التستري ، دار الكتب – بيروت، ط١ ١٤٢٣ .

٩- دار المعارف الإسلامية ، اساسيات علم التفسير، مركز المعارف للتأليف – بلا ،٢٠١٧م .

١٠- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة – القاهرة ، بلا .

١١- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الواحد والعشرين، إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

١٢- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

١٣- السبزواري، علي عبد الأعلى، مقال بعنوان " قبسات من حياة السيد عبد الأعلى السبزواري"، موقع اجتهاد.

١٤- السبزواري ، عبد الأعلى ، مواهب الرحمن ، نكين –قم ، ط٥ ١٤٣١ .

١٥- الاصفهاني ، محمد علي الرضائي ، مناهج التفسير واتجاهاته دراسة مقارنة ، تعريب : قاسم البيضاني ، مركز الحضارة للتنمية الفكر الإسلامي –بلا ، ط١ ٢٠٠٨م .

١٦- الصغير، محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القران الكريم، دار المؤرخ العربي – بلا.

١٧- العك ، خالد عبد الرحمن ، قواعد التفسير وأصوله ، دار النفائس – بلا ، ١٤٠٦ .

١٨- عفيفي ، ابو العلا ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ،دار الشعب –بيروت ، بلا .

١٩- الفيروز آبادي ،مجد الدين أبو طاهر محمد ،الهيئة المصرية العامة –القاهرة ،١٤٠٠ هـ .

٢٠- القيسي، د. محمود شلال حسين، أدب الرمز والإفصاح في أساليب الصوفية، الجامعة العراقية/ كلية الآداب، مجلة مداد الأدب، العدد الثاني عشر، لسنة ٢٠١٦ .

٢١- المصطفوي ، حسن ، التحقيق في كلمات القران الكريم ، مركز نشر اثار العلامة المصطفوي – طهران ، ١٣٩٣ .

٢٢- المنهج التفسيري لآية الله السيد عبد الأعلى السبزواري (مقال) ، موقع دار السيدة رقية للقران الكريم .

Sources and references

1- The Holy Quran

2- Ibn Arabi, Abi Bakr Muhyiddin Muhammad bin Ali, Al-Futuhat Al-Makkiyyah, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya - Beirut.

3- Ibn Jibreen, Sharh al-'Aqeedah al-Tahawiyyah, Abdullah bin Abdul Rahman bin Abdullah bin Ibrahim bin Fahd bin Hamad (d. 1430 AH), audio lessons transcribed by the Islamic Network website, http://www.islamweb.net

4- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram bin Ali, Lisan Al-Arab, Dar Sader - Beirut.

5- Abu Al-Asi, Muhammad Salem Abu Assi, The Sciences of the Qur'an according to Al-Shatibi through his book Al-Mawafaqat, Dar Al-Basair - Cairo, 1st edition, 1426 AH - 2005 AD.

6- Asadi Nasab, Muhammad Ali, The Interpretive Approaches of the Shiites and Sunnis, Nakkar - Qom, 11431 AH.

7- Al-Asadi, Kazem Odeh, the features of the exegetical approach of Sayyid Abd Al-Ala Al-Sabzwari, Al-Ahd Al-Sadiq Foundation - Iraq, 11430 AH.

8- Al-Tastari, Sahl bin Abdullah, Tafsir Al-Tastari, Dar Al-Kutub - Beirut, 1st edition 1423.

9- Dar Al-Maarif Al-Islamiyyah, Fundamentals of the Science of Interpretation, Al-Maarif Center for Authoring - Bla, 2017 AD.

10- Al-Dhahabi, Muhammad Hussein, Interpretation and Interpreters, Wahba Bookshop - Cairo, No.

11- Al-Roumi, Fahd bin Abdul Rahman bin Suleiman, Directions of Interpretation in the Twenty-First Century, Departments of Scientific Research, Ifta, Call and Guidance in the Kingdom of Saudi Arabia, 1st edition, 1407 AH - 1986 AD.

12- Al-Zarkashi, Abu Abdullah Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur Al-Zarkashi (deceased: 794 AH), Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an, Edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 1st edition, 1376 AH - 1957 AD.

13- Al - Sabzwari, Ali Abdel-Alaa, article entitled "Quotes from the life of Mr. Abdel-Ala Sabzwari", Ijtihad website.

14- Al-Sabzwari, Abdul-Ala, Mawahib Al-Rahman, Nikin-Qom, 5th edition 1431.

15- Al-Isfahani, Muhammad Ali Al-Rida'i, Methods of Interpretation and its Directions, a Comparative Study, Arabization: Qasim Al-Baydani, Civilization Center for the Development of Islamic Thought - Bla, 1st edition 2008 AD.

16- Al-Saghir, Muhammad Hussein Ali, General Principles of Interpretation of the Holy Qur'an, Dar Al-Harith Al-Arabi - None.

17- Al-Ak, Khaled Abdel-Rahman, The Origins and Rules of Interpretation, Dar Al-Nafais - Bla, 1406.

18- Afifi, Abu Al-Ela, Sufism, the Spiritual Revolution in Islam, Dar Al-Shaab, Beirut, without.

19- Al-Fayrouz Abadi, Majd Al-Din Abu Taher Muhammad, The Egyptian General Authority - Cairo, 1400 AH.

20- Al-Qaisi, Dr. Mahmoud Shalal Hussein, Literature of Symbol and Disclosure in Sufi Styles, Iraqi University / College of Arts, Medad Literature Magazine, Twelfth Issue, for the year 2016.

21- Al-Mustafawi, Hassan, The Investigation of the Words of the Holy Qur'an, Center for the Publication of Allama Al-Mustafawi's Antiquities - Tehran, 1393.

22- The Explanatory Methodology of Ayatollah Al-Sayyid Abd Al-Ala Al-Sabzwari (Article), Dar Al-Sayyida Ruqayyah for the Holy Quran.